

الدَّارُ الْآخِرَةُ

(٢٢)

أَرْضُ الْمُحْشَرِ

وَصِفَةُ حَشْرِ الْعِبَادِ

للشيخ / ندا أبو أحمد



الدَّارُ الْآخِرَةُ

أَرْضُ الْمُحْشَرِ وَصِفَةُ حَشْرِ الْعِبَادِ

مَهَيِّدٌ

إِنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِ اللَّهِ
فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ.....

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ٧٠ ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فُتِحَ لَهُ أَبْوَابُ عَظِيمَةٍ ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى - وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل
محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عندما يأمر الله ﷻ إسرأفيل بالنفخ في الصور النفخة الثانية، فإن الناس يخرجون من القبور،

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الأنفطار: ٤]، أي: قُلبت فأخرج ما فيها،

وقال تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]

ويقوم الناس جميعاً لرب العالمين، ويسعون إلى أرض أعدّها الله لجمع الناس فيها وهي أرض المحشر،

وهذا اليوم ما يعرف بيوم الحشر، قال تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جُمُعًا﴾ [الكهف: ٩٩]

أي: ونفخ في الصور للبعث؛ فجمعنا الخلق جميعاً للحساب والجزاء.

قال الله تعالى عنه: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]

- وهذا اليوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، كما قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

وسيجمع الله كذلك الذين أكلتهم الطيور والسباع، أو غرقوا في البحر فأكلتهم الأسماك، أو هلكوا في

الفضاء، أو صهرتهم النار... وغيرهم، فكل ذلك عند الله سواء، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّهَا

فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

فلا يشذ أحدٌ ولا يغيب عن علم الله، فالله تعالى محيط بخلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [٩٣] ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [٩٤] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥]

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وكل هذا يدل على أن الله تعالى يحشر الخلق جميعاً، الإنس والجن والملائكة، أما البهائم فهي مسألة خلافية، والراجح أنهم يُحشَرُونَ كذلك.

وقد حكى القرطبي رحمه الله في "تذكرته" (ص ٢٧٣) خلاف أهل العلم في حشر البهائم:

"ورجح أن ذلك كائن للأخبار الصحيحة في ذلك، قال القرطبي: «واختلف الناس في حشر البهائم، وفي قصاص بعضها من بعض، فروي عن ابن عباس أن حشر البهائم موتها، وقاله الضحاك.

وروي عن ابن عباس في رواية أخرى: "أن البهائم تحشر وتبعث، وقاله أبو ذر وأبو هريرة وعمرو

ابن العاص، والحسن البصري... وغيرهم، وهو الصحيح، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾

[التكوير: ٥]

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]

قال أبو هريرة رضي الله عنه: "يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم، والطير، والدواب، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماة من القرناء، ثم يقول: "كوني تراباً"، فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]... ونحوه» اهـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في "مجموع الفتاوى" (٢٤٨/٤):
«وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه، كما دلَّ عليه الكتاب والسنة».

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ

رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وقال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]،

وحرف (إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة. ويستدل لهذا أيضاً بقوله تعالى:

﴿يَوْمُ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا: ١٨]، أي يوم ينفخ إسرافيل في الصور للبعث، فتأتون أممًا،

وقد قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا

فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] (القيامة الكبرى للأشقر: ص ٩٤ بتصرف)

أرض المحشر

• الشام هي أرض المحشر

مرّ بنا في علامات الساعة الكبرى أنه سيخرج نار من قعر عدن؛ تحشر الناس إلى محشرهم، وهي أرض الشام، وذلك قبل نفخة الصعق، وكذلك الشام هي البقعة التي يُساق إليها الناس بعد قيامهم من قبورهم بعد نفخة البعث، فيُجمَعون فيها للحساب يوم القيامة، فالشام هي أرض المحشر، والمنشر.

فقد أخرج أبو الحسن الربيعي في "فضائل الشام" ورمز السيوطي لحسنه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشام أرض المحشر^(١) والمنشر^(٢)».

وأخرج ابن عساكر في "تاريخه" عن قتادة رضي الله عنه أنه قال:

"الشام أرض المحشر والمنشر، وبها يجتمع الناس رأساً واحداً، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك المسيح الكذاب".

• صفة أرض المحشر

أرض المحشر تكون يوم القيامة شديدة البياض، كالدقيق النقي من الغش والنخالة ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشَرُ الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء^(٣)، كقُرْصَةِ النَّقِيِّ^(٤)» قال سهل أو غيره: ليس فيها معلّم^(٥) لأحد.

(١) المحشر: أي جمعهم في ذلك المكان.

(٢) المنشر: أي عندما يبعث الناس من الموت إلى الحياة مرة أخرى..

(٣) العفر: قال الخطابي: بياض ليس بناصع، وقال عياض: العفر بياض يضرب إلى حمرة قليلاً، وقال ابن فارس: معنى عفراء خالصة البياض.

(٤) النقي: بفتح النون وكسر القاف، أي: الدقيق النقي من الغش والنخال.

(٥) المعلن: العلامة التي يُهتدى بها إلى الطريق، كالجبل والصخرة، أو ما يصفه الناس دالاً على الطرقات، أو على قسمة الأراضي، وقال القاضي عياض كما في "فتح الباري" (١/٣٧٥): "المراد أنه ليس فيها علامة سكنى ولا بناء، ولا أثر لشيء فيها كالصخرة البارزة".

• وأرض المحشر غير هذه الأرض التي نعيش عليها الآن

قال تعالى: ﴿يَوْمُ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «تَبْدَلُ الْأَرْضُ كَأَنَّهَا الْفُضَّةُ لَمْ يَسْفَكَ عَلَيْهَا دَمٌ حَرَامٌ، وَلَمْ يَعْمَلْ عَلَيْهَا خَطِيئَةٌ» (أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، والطبري في "تفسيره" من طريق عمرو بن ميمون).

وفي رواية أخرى عند الطبري والحاكم من طريق زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أَرْضٌ بِيضَاءُ كَأَنَّهَا سَبِيكَةُ فُضَّةٍ». (فتح الباري: ٣٧٥/١١)

قال أبو محمد بن أبي جمره رضي الله عنه في حديث ابن مسعود رضي الله عنه السابق:

"فيه دليل على عظيم القدرة، والإعلام بجزئيات يوم القيامة، ليكون السامع على بصيرة، فيخلص نفسه من ذلك الهول؛ لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها، بخلاف مجيء الأمر بغتة، وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة، والحكمة في الصفة المذكورة، أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه طاهرًا عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليته سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصًا له وحده.

• الوقت الذي تبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات.

أخبرنا الرسول ﷺ أن الوقت الذي يتم فيه هذا التبدل هو وقت مرور الناس على الصراط، أو قبل ذلك بقليل، ففي "صحيح مسلم" عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿يَوْمُ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يا رسول الله؟ فقال: على الصراط»

وفي "صحيح مسلم" أيضًا عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال:

«كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ، فجاء خبرٌ من أخبار اليهود، فقال: السلام عليكم يا محمد؛ فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لِمَ تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: سل، فقال اليهودي: أين يكون الناس ﴿يَوْمُ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر^(١)...» ومما سبق يتبين أن الوقت الذي يتم فيه هذا التبدل هو وقت مرور الناس على الصراط أو قبل ذلك بقليل.

(١) المراد بالجسر: الصراط.

صفة حشر العباد يوم القيامة

١ - يخرجون من قبورهم مسرعين

قال رب العالمين: ﴿وَاسْمَعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٤﴾﴾ [لق: ٤١-٤٤]

٢ - يحشر الناس كذلك يوم القيامة وقد علاهم الصمت متبعين الداعي.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَذِ تَبْغُوثُ الدَّاعِي لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٨]

فعندما يستمع الناس إلى الداعي يدعوه إلى الله؛ فيتبعونه صامتين مستسلمين، لا يلتفتون ولا يتخلفون، ويعبر عن استسلامهم قوله تعالى: ﴿تَبْغُوثُ الدَّاعِي لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨].

٣ - الكل مشغول بنفسه يوم الحشر.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصَرُونَهُمْ...﴾ [المعارج: ١٠-١١]

أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله، ولا يسأل الصديق صديقه عن أخباره وهو يراه في أسوأ الأحوال، فهو مشغول بنفسه عن غيره، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَذِ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

لقد قطع الهول المروع جميع الوشائج، وحبس النفوس على همها لا تتعداه، وأنهم ليتراءون ويبصر بعضهم بعضًا، ولكن لكل منهم همّه، ولكل منهم شأنه الذي يشغله عن غيره.

٤ - الملائكة تحق وتحيط بالناس في أرض المحشر.

فعندما يُساق الناس إلى أرض المحشر؛ تحيط بهم الملائكة حلقًا خلف حلق.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١-٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبا: ٣٨].

٥- الناس في أرض المحشر يقفون خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب ولا جلوس.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، قال: «يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

٦- الشمس تدنو من الخلق في أرض المحشر.

وتقترب الشمس من رعوس الخلائق مقدار ميل أو ميلين، كما جاء في الحديث: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل^(١) أو ميلين؛ فتصهرهم الشمس...»
ولك أن تتصور حال الناس حينئذ وقد صهرتهم الشمس.

تنبيه:

الحديث الذي أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً وفيه:

«إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة، فيقول: رب أرحني ولو إلى النار»

(هذا حديث لا يصح، ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع: ١٤٦٠)

٧- ويحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً (غير مختونين).

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«إنكم محشورون حفاة غرلاً، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»

وفي رواية أخرى في "الصحيحين" أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر، يقول: إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلاً».

فالناس يُحشَرُونَ كما خرجوا من بطون أمهاتهم حفاة غير متعللين، عراة غير لابسين، غرلاً غير مختونين.

وقد ثبت في "صحيح مسلم" عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»

(١) قدر ميل: قال سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ - أحد رواة الحديث - فوالله ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين؟.

وفي "الصحيحين" أيضًا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسَ حِفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ: الْأَمْرُ أَشَدَّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

- وفي رواية: «الْأَمْرُ أَشَدَّ مِنْ أَنْ يُهْمَهُمْ ذَلِكَ».

- وفي رواية عند الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ قال: «تُحْشَرُونَ حِفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: أَيْبَصِرُ - أَوْيَرِي - بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ؟ قَالَ: يَا فُلَانَةُ ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ شَأْنٌ يَخُنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]».

تنبيهان:

الأول: أن أول مَنْ يُكْسَى من عباد الله نبي الله إبراهيم خليل الرحمن.

ففي "صحيح البخاري" عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ».

وفي رواية عند البزار من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلَائِقِ: إِبْرَاهِيمُ».

(صحيح الجامع: ٢٥٨٤).

قال ابن حجر رحمته الله كما في "فتح الباري" (١١/٣٨٤): "وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما نَحْوَ حَدِيثِ الْبَابِ وَزَادَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ، يَكْسَى حُلَّةَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُؤْتَى بِكَرْسِيٍّ فَيُطْرَحُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِبِي فَأَكْسَى حُلَّةَ مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ»

قال الحليمي رحمته الله: "وَإِذَا بَدَأَ فِي الْكِسْوَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَتَنَّى بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَدْ أُوتِيَ مُحَمَّدٌ حُلَّةً لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ" لينجبر التأخير بنفاسة الكسوة، فيكون كأنه كُسي مع إبراهيم عليهما السلام. (فتح الباري: ١١/٣٨٤).

وذكر العلماء: "أن تقديم إبراهيم على غيره بالكسوة في يوم القيامة؛ لأنه لم يكن في الأولين والآخرين أخوف لله منه، فتعجل له الكسوة أمانًا له ليطمئن قلبه، ويحتمل لأنه - كما جاء في الحديث - أول من لبس السراويل إذا صلى؛ مبالغة في التستر وحفظًا لفرجه من أن يماس مصلاه، ففعل ما أمر به، فجزى بذلك أن يكون أول مَنْ يُسْتَرُّ يوم القيامة، ويحتمل أن يكون الذين ألقيوا في النار جرؤوه ونزعوا ثيابه على أعين الناس، كما يفعل بمن يُراد قتله، فجزى بكسوته في يوم القيامة أول الناس على رعوس الأشهاد، وهذا أحسنها"

(التذكرة للقرطبي: ص ٢٠٩)

التنبيه الثاني:

جاء في بعض النصوص: "أن كل إنسان يُبعث في ثيابه التي مات فيها، فقد روى أبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد، فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها».

(السلسلة الصحيحة: ١٦٧١)

وقد وفق البيهقي بين الحديث وحديث «يحشر الناس حفاة عراة غرلاً» بثلاثة أوجه:

الأول: أنها تبلى بعد قيامهم من قبورهم، فإذا وافوا الموقف يكونون عراة، ثم يلبسون من ثياب الجنة.

الثاني: أنه إذا كسي الأنبياء ثم الصديقون، ثم من بعدهم على مراتبهم؛ فتكون كسوة كل إنسان من جنس ما يموت فيه، ثم إذا دخلوا الجنة لبسوا من ثياب الجنة.

الثالث: أن المراد بالثياب هاهنا الأعمال، أي يُبعث في أعماله التي مات فيها من خير أو شر، قال الله تعالى: ﴿وَلَبَّاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

واستشهد البيهقي على هذا الجواب الأخير بحديث الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه».

(رواه مسلم)

(انظر "النهاية" لابن كثير: ٢٨٨/١)

ولا يفهم من هذا الحديث أن العبد يُبعث في ثيابه التي كُفّن فيها أو مات فيها، وإنما يُبعث على الحال التي مات عليها من الإيمان والكفر، واليقين والشك، كما يُبعث على العمل الذي كان يعمل عند موته، يدل على هذا ما رواه مسلم في "صحيحه" عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أراد الله بقوم عذاباً، أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم».

فالذي يموت وهو محرم يُبعث يوم القيامة ملبياً، ففي "صحيح البخاري ومسلم" و"مسند أحمد" عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: «إن رجلاً كان مع النبي ﷺ فوقسته ^(١) ناقته وهو محرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تُمسّوه بطيب، ولا تخمّروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً».

– والشهيد يبعث يوم القيامة وجرحه يثعب، اللون لون الدم والريح ريح المسك.

– ومن هنا استحبت تلقين الميت "لا إله إلا الله"، لعله يموت على التوحيد، ثم يُبعث يوم القيامة ناطقاً بهذه الكلمة الطيبة.

(القيامة الكبرى: ص ٥٠-٥٢).

(١) فوقسته: أي أسقطته فكسرت عنقه.

(٢) لا تخمّروا رأسه: أي لا تغطوا رأسه.

أحوال الناس عند البعث

أولاً: حال الكفار عند البعث:

جاء القرآن الكريم ووصفَ حال الكافرين والمشركين النفسية والجسدية عند البعث والنشور،
ومن حالهم: -

١- أنهم يخرجون من القبور في ذلة ومهانة، مسرعين نحو الداعي وقد خشعت أبصارهم:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ [٤٣-٤٤]. - الأجداث: أي القبور.

فالآية تصور سرعة خروجهم من القبور في ذلك اليوم، منطلقين إلى مصدر الصوت، كأنهم يسرعون إلى الأنصاب التي كانوا يعبدونها في الدنيا، ولكنهم اليوم لا ينطلقون فرحين أشرين بطرين، كما كان حالهم عندما كانوا يقصدون الأنصاب، بل هم أذلاء، أبصارهم خاشعة، والصغار يعلوهم.

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا﴾ [٦] ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [٧] ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾^(١) [القمر: ٦-٨].

فالآيات تصوّر مشهد الناس حال خروجهم من قبورهم كأنهم جراد منتشر، والجموع تسرع نحو الداعي، دون أن تعرف لِمَ يدعوهم؟ فهو يدعوهم إلى شيء نكر، لا يدرونه، لكن الكافرون أدركوا حقيقة الأمر

وهنا: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]، وانظر إلى قوله: ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ [القمر: ٧]

أي: ذليلة خاضعة من شدة الهول، لتعلم شدة ما يلقاه الناس، كما قال تعالى في سورة القيامة:

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧]، أي: اضطربت وجالت العين من الخوف.

(١) ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ أي: مسرعين مآذٍ أعناقهم، وقيل: الإطاع: هو النظر من غير أن يطرف. (تفسير الطبري)

٢- شُخُوصُ أَبْصَارِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ الْمَحِيطِ بِهِمْ، وَالْفَزَعِ الَّذِي يَسِيطِرُ عَلَيْهِمْ:

ففي هذه اليوم العصيب تشخص أبصار الكفار، وتضطرب الأفئدة ويملأها الفزع، وتستبد بها الحيرة، وهم في ذهول ويأس.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

ومعنى: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾: أي ترتفع دون أن تطرف من الهول.

ومر بنا معنى ﴿مُهْطِعِينَ﴾: أي مسرعين إلى الداعي بذلة.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: أي رافعيها مديمي النظر للأمام، ولا ينظر أحدٌ إلى أحدٍ.

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾: أي قلوبهم خالية لا تعي لفرط الحيرة، قال قتادة: "خرجت قلوبهم عن صدورهم؛ فصارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم، ولا تعود إلى أماكنها".

﴿هَوَاءٌ﴾ لا شيء فيها، ومنه سُمِّيَ ما بين الأرض والسماء هواء لخلوه، وقال سعيد بن جبیر:

"متردة" تمر في أجوافهم، ليس لها مكان تستقر فيه، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

ومعنى ﴿كَاطْمِينَ﴾ قيل: "ساكتين"، لا يتكلم أحدٌ إلا بإذنه، وقال البغوي: ﴿كَاطْمِينَ﴾: أي مكروبين ممثلين خوفاً وجزعاً، و"الكظم" تردّد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به.

٣- الدَّعَاءُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ:

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾

[يس: ٥١-٥٢]

ويدلك على شدة الأمر: دعاؤهم بالويل عند أول وهلة من بعثهم، ولم تمر عليهم أحداث يوم القيامة بعد.

ويدلك على هذا أيضاً قولهم: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، وهم الذين كانوا يعذبون في قبورهم، لكن استصغروا هذا وسمّوه "مرقد"، وذلك لما عاينوا ما هو أفظع منه.

٤- الحسرة والندم لعدم اتباع الرسول:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

فهذا هو يوم الحسرة على الكافرين، كما قال رب العالمين في كتابه الكريم:

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]

٥- محاولة الفرار عند سماع النداء: قال تعالى:

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُكَلِّمُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣]

والسياق يُصوِّرُ حال المكذبين عندما ينادى عليهم وقد ولوا الأدبار، ثم أخذوا بعد الفرار.

٦- اليأس من رحمة الله؛ من شدة ما يرون من العذاب:

ففي هذا اليوم يوقن الكفار أن ذنبهم غير مغفور، وعذرهم غير مقبول، فبيأسوا من رحمة الله.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ ﴿١٤﴾ [الروم: ١٢ - ١٤].

والمشهد يُصوِّرُ المجرمين تبغثهم الساعة؛ فيسكتون سكوت البائس الذي يحسُّ أنه لا فائدة لحديث، ولا جدوى لمحاولة، ثم لا يجدون من شركائهم الذين عبدوهم في الدنيا شفعاء، بل يكفر بهم شركاؤهم، وينكرون صلتهم بهم إنكار الجود، وفي هذا الجو البائس يتفرقون.

٧- فضيحتهم أمام الخلق:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

٨- مَقَرَّ نِينَ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، وَمَسْرَبِينَ بِالْقَطْرَانِ، وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [٤٨] ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [٤٩] ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾^(١) [إبراهيم: ٤٨-٥٠].

وهذا حال المجرمين يوم القيامة؛ حيث تقرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالسلاسل والأغلال والقُمُص التي يلبسونها من قطران، وهي المادة التي تُطلى بها الإبل إذا أصابها الجرب، وقيل: القطران: النحاس.

٩- تَمَنَّى الْمَوْتَ مِنْ هَوْلٍ مَا يَرُونَ:

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠].

وهكذا حال الكفار يوم القيامة، يتمنّوا أن يهلكهم الله ويجعلهم ترابًا، فغاية مناهم هي مناياهم.

- ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾: أي قمصانهم أو ثيابهم.

- ﴿الْأَصْفَادِ﴾: أي القيود والأغلال.

(١) ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: أي مقرونًا بعضهم مع بعض.

• أما عن صفة حشر الكفار:

فقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبين لنا صفة حشر هؤلاء، ومنها:-

١- أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكُمَا وَصْمًا.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكُمَا وَصْمًا مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾

[الإسراء: ٩٧]

فهؤلاء الذين كفروا وأعرضوا عن الهدى والنور والرشاد؛ يحرمون من جوارحهم في هذا اليوم العصيب شديد الزحام، جزاءً وفاقاً؛ لأنهم عطلوها في الدنيا عن معرفة الحق، أو عرفوه وحادوا عنه، فمصيرهم أن يحشروا على وجوههم عُمِيًّا وَبِكُمَا وَصْمًا إلى هذه النار الملتهبة، التي كلما خبت وهدأت زادها الله تأجُّجًا.

ثبت عند "البخاري ومسلم" من حديث أنس رضي الله عنه: "أن رجلاً قال: يا رسول الله! كيف يُحْشَرُ الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ: أليس الذي أمشاه على رجله في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة: بلى وعِزَّة رَبَّنَا".

٢- يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُودَ الْوُجُوهِ يعلوها غبرة:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَوْتًا لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].
وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

فالبياض علامة المؤمنين يوم القيامة، والسواد سيما المجرمين في هذا اليوم، بالإضافة إلى الغبار الذي يعلوها؛ كما قال تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يُومِذُّ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (٤٠) ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (٤١) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾؛
فيزيد الصورة بشاعة وكآبة، بخلاف وجوه المؤمنين والتي تشع نوراً؛ كما قال تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يُومِذُّ

مُسْفَرَةٌ﴾ (٣٨) ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩]، فشتان بين السواد المغبر، والبياض المسفر.

٣- يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زُرْقًا:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

قيل: "زرقاً"، بمعنى: "عمياً"؛ لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق.

وقيل: "زرقاً"، يعني "عطشاً"، فإن شدة العطش التي تصيب المجرمين يوم القيامة تجعل عيونهم زرقاً.

وقيل: "زرقاً"؛ لأن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب؛ لأنها لون عيون أعدائهم من الروم.

وكلمة "زرقاً"، تحتل هذه المعاني كلها، وهذا يرسم مشهداً للمجرمين يوم القيامة، وهم زرق العيون، سود الوجوه، وقد حُشروا عطاشاً عمياناً وكفى بهذا شناعة وقبحاً.

٤- يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَطَاشًا:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ٨٥ ﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

﴿وَرْدًا﴾: أي عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش، وهم يَرِدُونَ ولكن لا يَرِدُونَ الماء، بل يَرِدُونَ جهنم وجحيمها ومهلها وحميمها.

كما روي في الحديث: «فيقال لهم: ما تشتهون؟ فيقولون: عطشنا، فيشار لهم إلى جهنم كأنها سراب يُحَطَّم بعضها بعضاً، فيقال لهم: ألا تَرِدُونَ؟».

وفي قوله: ﴿وَسَوْقُ﴾ إشعار بإهانتهم، كأنهم أنعام عطاش تساق إلى الماء.

٥- يُحْشَرُونَ عَابِسِينَ كَالْحَيِ الْوُجُوه:

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ٢٠ ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ٢١ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ٢٢ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا

نَاطِرَةٌ﴾ ٢٣ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ٢٤ ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٠-٢٥].

﴿بَاسِرَةٌ﴾: كالحة، ﴿فَاقِرَةٌ﴾: يعني: داهية، تقسم فقار الظهر.

فوجوه الكفار في هذا اليوم ليأسها وضعفها كالحة، كريهة المنظر، عابسة مقطبة، وتتوقع نزول داهية بها تقسم الفقار، وقال مجاهد: "إن هذه الوجوه العابسة تستيقن أنها هالكة، وأنها ستدخل النار".

٦- يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ شَيَاطِينِهِمْ وَهُمْ جَائُونَ عَلَى الرِّكَبِ:

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَنْحَضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا﴾ [مريم: ٦٨]

قال القرطبي في تفسير هذه الآية (١١/١٨١): "أي ولنحشرن الشياطين مع قرنائهم، قيل: يحشر

كل كافر مع شيطان في سلسلة، كما قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾

[الصافات: ٢٢]. اهـ

ومعنى أزواجهم: يعني أشباههم ونظرائهم، ومن هو على شاكلتهم، فيحشر اليهود معاً، والنصارى معاً، ويحشر الزناة مع الزناة، والمرتشون مع المرتشين، والمرابون مع المرابين، وكلُّ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ معهم.

وهذا الجثي يصور لنا ما يلقاه هؤلاء من الخذي والذل والهوان، وهذا هو حالهم في أرض المحشر، وكذا

حالهم في النار، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا

وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

ثانياً: حال الأتقياء وأهل الإيمان عند الحشر:

١- يُحْشَرُونَ رُكْبَانًا:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

﴿وَفْدًا﴾: قال ابن عباس ؓ: أي "ركبانا".

وقال علي بن أبي طالب ؓ: "ما يُحْشَرُونَ والله على أرجلهم، ولكن على نُوقِ رحالها الذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن هموا بها طارت".

٢- يُحْشَرُونَ آمَنُونَ مَطْمَئِنُونَ فَرِحُونَ:

فتراهم لا يخافون حينما يخاف الناس، ولا يفزعون حينما يفزع الناس.

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَذِ آمَنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِغَارَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].

وقال تعالى لهم طمأنة لقلوبهم: ﴿يَا عِبَادَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ٦٨ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا

وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٨-٦٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٦٣

لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

فقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذا عندما تبشرهم الملائكة عند الاحتضار بالجنة؛

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي

كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

أما البشرى في الآخرة، فهي عندما تتلاقهم الملائكة يوم الحشر، فتثبت قلوبهم وطمئنهم من الفزع

الأكبر، كما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]

لكن لماذا الأمن والأطمئنان لأولياء الرحمن دون غيرهم من الناس؟

والسر في هذا الأمن الذي يشمل الله به عباده الأتقياء دون غيرهم، أن قلوبهم كانت في الدنيا عامرة بمخافة الله، فأقاموا ليلهم، وأظمؤوا نهارهم، واستعدوا ليوم الوقوف بين يدي الله، فقد حكى عنهم ربهم أنهم كانوا يقولون: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]، ومن كان حاله كذلك؛ فإن الله يقيه من شر ذلك اليوم ويؤمنه، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [١١] ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١١، ١٢].

وفي الحديث الذي يرويه أبو نعيم في "الحلية" عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﻋﻠﻴﻪ وعزتي وجلالي، لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو آمنني في الدنيا؛ أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا؛ أمنتُه يوم أجمع فيه عبادي» (السلسلة الصحيحة: ٧٤٢)، (صحيح الجامع: ٤٣٣٢).

وكلما كان العبد أكثر إخلاصاً لربه - تبارك وتعالى - كان أكثر أمناً في يوم القيامة، فالموحدون الذين لم يلبسوا إيمانهم بشيء من الشرك؛ لهم الأمن التام يوم القيامة، يدلك على هذا جواب إبراهيم لقومه عندما خوَّفوه بأصنامهم، فأجابهم قائلاً: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨١] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢، ٨١].

(القيامة الكبرى لعمر سليمان الأشقر رحمته: ص ١٤٨)

٣- يُخْشَرُونَ بِيضَ الْوُجُوهِ:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وَجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].
وقال تعالى: ﴿وَجُوهُهُمْ مُمَدَّدَةٌ مَسْفَرَةٌ﴾ [٣٨] ﴿صَاحِكَةٌ مُسَبِّحَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩].
﴿مُسْفَرَةٌ﴾ قيل: "مشرقة"، وقيل: "مضيئة"، وقيل: "مستنيرة"، وكلها متقاربة في المعنى، والاشتقاق اللغوي يدل على ذلك.

ونقل الطبري عن مجاهد أن قال: "إن النضرة من السرور والنعيم والغبطة". اهـ
فنضرة وجوه المؤمنين يوم القيامة بسبب ما يجدونه من النعيم والسرور الذي أعدّه الله لهم، وهذا بخلاف وجوه الكافرين الباسرة الخائفة التي تتوقع المصيبة والداهية التي تقصم الفقار.
ويُحْشَرُ المؤمنون وقد أشرق النور من وجوههم ومن بين أيديهم وعن أيمنهم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورًا وَآغْضِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

قال الضحاك رحمه الله: "ليس أحد إلا يُعطى نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط، طُفي نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طُفي نور المنافقين؛ فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورًا﴾ وأخرج الطبري في "تفسيره" وابن أبي حاتم بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورًا على إبهامه يطفأ مرة، ويقد مرة".

حتى إن المنافقين في هذا اليوم العصيب، وقد أحاطت بهم الظلمة من كل مكان، حديث ذهب مصادره الضوء، فالشمس قدر كُورت، والنجوم قد انكدت، فيطلبون من المؤمنين أن يعطوهم من نورهم، وفي هذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وقفه: ووضاعة الوجه وإشراقه يكون من أثر الطاعة والوضوء.

• أما أثر الطاعة

يقول ابن عباس رضي الله عنه: "إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق". وفي حديث أخرجه ابن عساكر: "الصلاة نور المؤمن".

• وأما أثر الوضوء:

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلِينَ من آثار الوضوء».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في فتح الباري (١/٢٣٦):

"غُرًّا: جمع: أغرّ، أي ذو غُرّة، وأصل "الغُرّة" لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا النور الكائن في وجه أمة محمد ﷺ.

وقوله: "مُحَجَّلِينَ" من "التحجيل"، وهو بياض يكون في ثلاثة قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الجَل (بكسر الحاء)، وهو الخلخال، والمراد به هنا أيضًا النور". اهـ

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتى مقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وودت أننا إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، إخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة، بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غراً مُحَجَّلِينَ من الوضوء، وأنا فرطهم^(١) على الحوض».

وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى ما بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك، فقال رجل: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: هم غر محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم تسعى بين أيديهم ذريتهم».

(صحيح الألباني في "مشكاة المصابيح": (٩٩/١)، حديث رقم: ٢٩٩).

٤- يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ أَظْلَمَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

ففي هذا اليوم العصيب عندما تقترب الشمس فوق الرؤوس بقدر ميل أو ميلين، فتصهر الناس إلا الأتقياء والذين ذكرهم النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

والإِظلال في ظله ﷻ ليس مقصوراً على السبعة المذكورين في الحديث، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الله يظل غيرهم، وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمته الله الخصال التي يظل الله تعالى أصحابها في كتاب سمّاه "معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال"، ومن هذه الخصال:-

(١) فرطهم: أي سابقهم.

- المحبة في الله:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلمهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»
وأخرج الإمام أحمد وابن حبان والحاكم والطبراني في "الكبير" عن معاذ رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:
«إن المتحابين في الله في ظل العرش».
(صحيح الجامع: ١٩٣٣)
وفي "كتاب الإخوان" لابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول
الله ﷺ قال: «حَقَّتْ محبتي على المتحابين، أظلمهم في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظلي».

- ومن هذه الخصال: إنظار المعسر أو الوضع عنه:

أخرج الإمام مسلم عن أبي اليسر عن رسول الله ﷺ قال:
«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ؛ أَظْلَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ».
(صحيح الجامع: ٦١٠٧)
وأخرج الإمام أحمد والدرامي عن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:
«مَنْ نَفَسَ عَنْ غَرِيمِهِ، أَوْ مَحَا عَنْهُ؛ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (صحيح الجامع: ٦٥٧٦)

- ومن هذه الخصال الموصلة إلى الظلال: الصدقة:

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
«كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ».
(صحيح الجامع: ٤٥١٠)
يا عَرْشُ تَحْتَ ظِلِّكَ الْحَبِيبُ يا لَيْتَ لِي فِي الظِّلِّ مِنْ نَصِيبِ

٥- تمر عليهم الخمسين ألف سنة كمقدار ما بين صلاتي الظهر والعصر:

فقد أخرج الحاكم في "المستدرک" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ» (الصحيحة: ٢٤٥٦)، (صحيح الجامع: ٨١٩٣)
• بل جاءت بعض الروايات لتوضح أن هذا اليوم العصيب يمر على المؤمنين كقدر ساعة
فقد أخرج ابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: أَيْنَ فَقَرَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةُ؟ قَالَ: فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا عَمَلْتُمْ؟
فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا ابْتَلَيْنَا فَصَبَرْنَا، وَوَلَّيْتَ الْأَمْوَالَ وَالسُّلْطَانَ غَيْرِنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ ﻋَﻠَیْهِمُ السَّلَامُ: صَدَقْتُمْ،
قَالَ: فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ، وَتَبْقَى شِدَّةُ الْحَسَابِ عَلَى ذَوِي الْأَمْوَالَ وَالسُّلْطَانَ، قَالَ:
قَالُوا: فَأَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: تَوْضَعُ لَهُمْ كِرَاسِي مِنْ نُورٍ، وَتُظَلِّلُ عَلَيْهِمُ الْغَمَامُ؛ يَكُونُ
ذَلِكَ الْيَوْمَ أَقْصَرُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ»

وقد قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]

٦- يأكل المؤمنون في أرض المحشر ويشربون:

فإن الله ﷻ قد أعد للمؤمنين نزلاً في أرض المحشر قبل أن يدخلوا الجنة، حيث يطعمهم ويسقيهم، حتى لا يجدوا شيئاً من جوع هذا اليوم وعطشه

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفوها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته^(١) في السفر، نزلاً^(٢) لأهل الجنة، قال: فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة، قال: فنظر إلينا رسول الله ﷺ، ثم ضحك^(٣) حتى بدت نواجذه، قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى، قال: إدامهم بالأم^(٤) ونون^(٥)، قال: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كدتهما سبعون ألفاً»

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (١/١٥٥):

"ويستفاد من الحديث أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع في طول زمان الموقف، بل يقلب الله لهم بقدرته طبع الأرض حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء الله بغير علاج ولا كلفة، ويكون معنى قوله: "نزلاً لأهل الجنة" أي الذين يصيرون إلى الجنة.

- وأما شرابهم فإنهم يشربون من حوض النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

"حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيّزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً"

وذكر ابن رجب رضي الله عنه عن بعض السلف أنه قال:

"بلغنا أنه يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها، والناس في الحساب، فيقولون: "يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتهم، وقاموا ونمّتم".

(١) أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي.

(٢) نزلاً: هو ما يعد للضيف عند نزوله.

(٣) ضحك النبي لأنه كان قد أخبرهم بهذا من قبل.

(٤) بالأم: قال النووي رحمه الله: "بالأم" لفظة عبرانية معناها: "ثور"، وزيادة كبد الحوت وزائدتها، قال عياض رحمه الله: "هي القطعة المنفردة المتعلقة بها، وهي أطيبه، ولهذا خُصّ بأكلها السبعون ألف، ولعنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فضّلوا بأطيب النزل، ويحتمل أن يكون عبر بالسبعين عن العدد الكثير، ولم يرد الحصر فيها.

(٥) النون: الحوت.

نماذج من أهل الإيمان يوم القيامة

١ - حال الذين يُيسَّرُون على المعسرِين، ويسترون على المذنبِين، ويُفَرِّجُونَ عن المكروبِين:

فهؤلاء يُحْشَرُونَ يوم القيامة وقد يَسَّرَ اللهُ أمرهم، وستر عيوبهم، ونَفَسَ كرياتهم، كيف لا؟ وهم الذين كانوا يقومون على مساعدة المحتاجين، والتيسير على المعسرِين، وفك كُرب المكروبِين.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

«مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مَعْسَرٍ؛ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومن فرَّجَ عن مسلمٍ كربةً؛ فرَّجَ اللهُ عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً؛ ستره اللهُ في الدنيا والآخرة».

وأخرج الإمام أحمد: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا؛ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(صحيح الجامع: ٦٢٨٧).

وأخرج البيهقي في "الشعب" عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ؛ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

(صحيح الجامع: ٦٥٧٤).

٢ - حال مَنْ يتجاوز عن المُعْسِرِ:

ففي "الصحيحين" أن النبي ﷺ قال: «كَانَ رَجُلٌ يَدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهٍ: إِذَا أَتَيْتَ مَعْسِرًا تَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهُ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، قَالَ: فَلَقِيَ اللهُ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ».

وأخرج الحاكم عن حذيفة وعقبة بن عامر وأبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«أَتَى اللهُ ﷻ بَعْدَ مَنْ عْبَادَهُ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمَلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: مَا عَمَلْتُ مِنْ شَيْءٍ يَا رَبِّ، إِلَّا أَنْكَ آتَيْتَنِي مَالًا، فَكُنْتُ أَبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي أَنْ أُيسَّرَ عَلَى الْمَوْسِرِ، وَأَنْظِرَ الْمُعْسِرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي».

وأخرج النسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا؛ فلما هلك قال: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى، قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله أن يتجاوز عنا، قال الله: قد تجاوزت عنك».

٣- حال الشهداء والمرابطين في سبيل الله:

أولاً: حال الشهيد:

الشهيد يُبعث آمناً يوم الفرع الأكبر حينما يفرع الناس.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث المقدام من معديكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «للشهاد عند الله سبع خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلّى حلّة الإيمان، ويؤزج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجاز من عذاب القبر، ويأمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته». (صحيح الجامع: ٥١٨٢)

والشهاد يُبعث يوم القيامة وجرحه يتفجر دمًا اللون لون الدم، والريح ريح المسك.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«والذي نفسي بيده، لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم، والريح ريح المسك».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في "فتح الباري" (٢٠/٦) قال العلماء:

"الحكمة من بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذله نفسه في طاعة الله - تعالى - اهـ

وجاء في رواية أخرى عند الترمذي والنسائي وأبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن سمع النبي ﷺ يقول: «من قاتل في سبيل الله فواق ناقة^(١)، فقد وجبت له الجنة، ومن جرح جرحاً في سبيل الله، أو نكب نكبة^(٢)، فإنها تجيء يوم القيامة كأغرز ما كانت، لونها الزعفران، وريحها المسك"

(١) فواق ناقة: والفواق هو ما بين الحلبتين.

(٢) نكب نكبة: أي حادثة.

ثانياً: حال المرباط في سبيل الله:

والمرباط في سبيل الله يُبْعَث أيضاً يوم القيامة آمناً يوم الفرع الأكبر حين يفزع الناس.

فقد أخرج الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«رباطٌ يومٍ خيرٌ من صيامٍ دهرٍ، ومن مات مرباطاً في سبيل الله آمن من الفرع الأكبر وغُدِّيَ عليه برزقه، وريح عليه من الجنة، ويجري عليه أجر المرباط حتى يبعثه الله»
(صحيح الجامع: ٣٤٧٩).

أخرج ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«من راح روحه في سبيل الله؛ كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكاً يوم القيامة»
(صحيح الجامع: ٦٢٦٠).

أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«من مات مرباطاً في سبيل الله؛ أجرى الله عليه عمله الصالح الذي كان يعمل عليه، وأجرى عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفرع»
(صحيح الجامع: ٦٥٤٤).

٤- حال من استلم الحجر الأسود:

فكلُّ من ذهب إلى بيت الله الحرام واستلم الحجر الأسود، فإنه يأتي يوم القيامة شاهداً له.

فقد أخرج ابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن لهذا الحجر لساناً وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق» (صحيح الجامع: ٢١٨٤)

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«ليأتين هذا الحجر يوم القيامة، له عيانٌ يُبصر بهما، ولسانٌ ينطق به يشهد على من استلمه بحق»
(صحيح الجامع: ٥٣٤٦)

٥- حال أهل البلاء:

الله ﷻ يعطي أهل البلاء الصابرين الثواب والأجر الجزيل، حيث يتمنى أهل العافية يوم القيامة أن لو قرضت جلودهم بالمقاريض، وذلك ممّا يرون من ثواب أهل البلاء.

وقد أخرج الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«يوذُّ أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرِضت في الدنيا بالمقاريض»
(صحيح الجامع: ٨١٧٧)

٦- حال الرِّحْمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

الراحمون يرحمهم الله يوم القيامة وكفى بهذا فضلاً.

فقد أخرج البخاري في "الأدب المفرد" والطبراني في "الكبير" أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةً عَصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٧- حال مَنْ تَرَكَ اللَّبَاسَ تَوَاضَعًا:

أخرج الترمذي والحاكم عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ تَرَكَ اللَّبَاسَ تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رِعَوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يَخِيرَهُ مِنْ أَيِّ خُلُلِ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا».

(صحيح الجامع: ٦١٤٥)

٨- حال مَنْ مَاتَ مُلْبِيًا:

فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لِأَدَاءِ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ؛ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ أَثْنَاءَ نَسْكَهِ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْبِيًا، وَدَلِيلُ ذَلِكَ: -

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«بَيْنَا رَجُلٌ وَقَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَوْقَ قِصَّتِهِ^(١)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ - أَوْ قَالَ: فِي ثَوْبِيهِ - وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلْبِي».

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال كما عند مسلم في "صحيحه" من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ».

٩- حال مَنْ يَحَافِظُ عَلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ:

أخرج أبو داود والترمذي عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«بَشِّرِ الْمُشَاطِّينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(صحيح الجامع: ٢٨٢٣)

(١) وقص: وقصت الدابة براكيها، أي رمت به، فكسرت عنقه.

١٠- حال مَنْ يحافظ على صلاة الجمعة:

أخرج البيهقي والحاكم وابن خزيمة بسند حسن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُحْشَرُ الأيامُ على هينتها، وتُحْشَرُ الجمعةُ زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تهدي إلى خدرها، تضيء لهم؛ يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً، وريحهم كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحدٌ إلا المؤدنون المحتسبون» (حسنه الألباني في صحيح الترغيب)

١١- حال مَنْ يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا:

العادلون يوم القيامة في مقام رفيع، يجلسون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، ففي "صحيح مسلم" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن ﻻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا». وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكّه العدل أو يوبقه الجور» (صحيح الجامع: ٥٦٩٥)

١٢- حال الكاظمين الغيظ:

إن الإسلام يعدُّ كظم الغيظ خلقاً إسلامياً راقياً يستحق صاحبه التكريم، فالجنة التي عرضها السموات والأرض والتي أعدت للمتقين، ومن صفات المتقين كظم الغيظ، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]. وفي يوم القيامة يدعو رب العزة مَنْ كظم غيظه على رعوس الخلائق، ثم يخيره في أي الحور العين شاء، روى الترمذي وأبو داود عن معاذ بن أنس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كظم غيظاً، وهو قادر على أن ينفضّه؛ دعاه الله على رعوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره في أي الحور العين، يزوجه منها ما يشاء» (صحيح الجامع: ٦٥٢٢)

١٣ - حال الذين يحفظون القرآن، وخصوصاً سورة البقرة وآل عمران:

أخرج الإمام مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي القرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآل عمران، يأتیان كأنهما غيايتان وبينهما شَرْقٌ، أو كأنهما غماتان سوداوان، أو كأنهما ظَلَّتَان من طير صواف يجادلان عن صاحبهما».

١٤ - حال من اعتق الرقاب المسلمة:

من الأعمال الكريمة التي يتمكّن صاحبها من اقتحام العقبات في يوم القيامة، عتق الرقاب قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ١١ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ١٢ ﴿فَكُرْبَةَ﴾ [البقرة: ١١ - ١٣]. وقد ساق ابن كثير في تفسير هذه السورة جملة من الأحاديث منها:-
- ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً؛ أَعْتَقَ اللَّهُ بِكَلِّ إِرْبٍ - أي عضو - منها إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْتَقُ بِالْيَدِ، وَبِالرَّجْلِ الرَّجْلَ، وَبِالْفَرْجِ الْفَرْجَ»، فقال علي بن الحسين رضي الله عنه: «أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: نَعَمْ. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه لَغُلَامٍ لَهُ أَفْرَهُ غُلْمَانَهُ: ادْعْ مَطْرَفًا، فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: اذْهَبْ فَأَنْتَ حَرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ» (وقد رواه البخاري ومسلم).
- وعند مسلم: «أَنْ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي أَعْتَقَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنَ الْعَابِدِينَ كَانَ قَدْ أُعْطِيَ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمًا».

- وأخرج ابن جرير عن أبي نجیح عمرو بن عبسة السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عَظَامٍ مُحَرَّرَةٍ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عَظَامِهَا مِنَ النَّارِ».

- وأخرج الإمام أحمد عن عمرو بن عبسة أنه حدّثهم أن النبي ﷺ قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِيَذْكُرَ اللَّهُ فِيهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً كَانَتْ فِدَيْتُهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

- وأخرج أبو داود وابن حبان عن أبي نجیح السلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَاعِلٌ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عَظَامٍ مُحَرَّرَةٍ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَاعِلٌ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عَظَامٍ مُحَرَّرَتِهَا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (صحيح الجامع: ٢٧٢٦)

١٥ - حال المؤمنين:

من الذين يظهر فضلهم في يوم القيامة المؤذنون، فهم أطول الناس أعناقًا في ذلك اليوم روى مسلم في "صحيحه" عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة» وطول العنق جمال، ثم هو مناسب لما قاموا به من عمل، حيث كانوا يُبَلِّغون الناس بأصواتهم كلمات الأذان التي تعلن التوحيد وتدعو للصلاة، وقيل: "إن معنى الحديث أنهم أكثر الناس تشوقًا إلى رحمة الله تعالى، لأن المتشوف يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه، فمعناه كثرة ما يرويه من الثواب، والمؤذن يشهد له في ذلك اليوم كل شيء سمع صوته، عندما كان يرفع صوته بالأذان في الدنيا، روى البخاري في "صحيحه" أن أبا سعيد الخدري قال لعبد الرحمن بن صعصعة: "إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت في الصلاة، فارفع بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة".

- وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «المؤذن يُغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطبٍ ويابس».

١٦ - حال مَنْ يشيَّبون في الإسلام:

يكون الشيب نورًا لصاحبه في يوم القيامة، كما صَحَّت بذلك الأحاديث - ففي "سنن الترمذي والنسائي" عن كعب بن مُرَّة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ شاب شبيبة في الإسلام؛ كانت له نورًا يوم القيامة». (صحيح الجامع: ٦٣٠٧) وفي "مسند أحمد" و"سنن الترمذي والنسائي" وابن حبان عن عمرو بن عبسة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شاب شبيبة في سبيل الله كانت له نورًا يوم القيامة» (صحيح الجامع: ٦٣٠٨) - وروى البيهقي في "شعب الإيمان" بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شبيبة في الإسلام؛ إلا كانت له بكل شبيبة حسنة، ورفع بها درجة».

- وأخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «لا تنتفوا الشيب، فإنه نور يوم القيامة، مَنْ شاب شبيبة في الإسلام كانت له بكل شبيبة حسنة، ورفع بها درجة».

- وأخرج أبو داود عن ابن عمر ؓ عن النبي ﷺ قال:

«لا تنتفوا الشيب، ما من مسلم يشيب شبيبة في الإسلام؛ إلا كانت له نورًا يوم القيامة»

(صحيح الجامع: ٧٤٦٣)

ثالثاً: حال عصاة المؤمنين يوم القيامة (١)

١ - حال الذين لا يؤدون الزكاة:

والزكاة هي حق المال، وهي من حقوق الله الكبرى، والذين لا يؤدون زكاة أموالهم يُعَذَّبون بهذه الأموال التي لم يخرجوها في الموقف العظيم، وقد أخبرت النصوص أن عذابهم بها على وجوه: -
الأول: أن يمثل لصاحب المال ماله شجاعاً أقرع^(٢)، له زبيبتان^(٣)، فيطوّق عنقه، ويأخذ بلهزمتي صاحبه، قائلاً له: أنا مالك، أنا كنزك.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مثل ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه: يعني بشدقيه، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾»
وهذا الطوق عبارة عن ثعبان سيلتف حول أعناقهم يوم القيامة. [آل عمران: ١٨٠]

الثاني: أن يؤتى بالمال نفسه الذي منع زكاته، فإن كان من الذهب والفضة جعل صفائح من نار، ثم عذب به صاحبه، وإن كان المال حيواناً: إبلاً أو بقراً أو غنماً، أرسل على صاحبه فعُذّب به،

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ تَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله، فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي

(١) القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر، بتصرف.

(٢) والشجاع الأقرع: الحية الذكر المتمتع شعر رأسه لكثرة سُمّه.

(٣) زبيبتان: هما نقطتان سوداوان فوق عيني الحية.

منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر^(١)، أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مرّ عليه أولاهها رد عليه أخرها^(٢)، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي فيها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عَقْصَاء^(٣) ولا جَلْحَاء^(٤) ولا عَضْبَاء^(٥)، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مرّ عليه أولاهها رد عليه أخرها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى الله بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

٢- حال المتكبرين يوم القيامة:

الكبر ذنبه كبير وإثمه عظيم، والله ييغض أصحابه أشد البغض، وعندما يبعث الله العباد يحشر المتكبرون في صورة مهينة ذليلة، ففي الحديث الذي يرويه الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالِ الذَّرِّ^(٦) يوم القيامة، في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يُسَمَّى بولس تعلوها نار الأنيار يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ».

وفي رواية أخرى عند الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ قال:

«المتكبرون يوم القيامة كالذر تطوهم الخلائق بالأقدام».

(١) بطح لها بقاع قرقر: بسط لها ومد لها بأرض مستوية.

(٢) قال النووي في "شرح مسلم" قوله ﷺ: «كلما مرّ عليه أولاهها ردّ عليه أخرها» هكذا هو في جميع الأصول في هذا الموضع، قال القاضي عياض: قالوا: هو تغيير وتصحيف، وصوابه ما جاء بعده في الحديث الآخر من رواية سهيل عن أبيه، وما جاء في حديث المعمر بن سويد عن أبي ذر: «كلما مرّ عليه أخرها ردّ عليه أولاهها» وبهذا ينتظم الكلام.

(٣) العقصاء: الملتوية القرون.

(٤) الجلحاء: التي لا قرون لها.

(٥) العضباء: التي انكسر قرنهما الداخلي.

(٦) الذر: صغار النمل، وصغار النمل لا يعبا بها الناس، فيطوئونه بأرجلهم وهم لا يشعرون.

٣- حال من كتم علماً:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعُنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٤-١٧٥].

وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ؛ أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ». (صحيح الجامع: ٦٢٨٤)

٤- حال الأثرياء المنعمون الذين يتقلبون في ألوان النعيم وينسون المساكين:

فالمقصود بالأثرياء هنا: الذين يركنون إلى الدنيا، ويطمئنون إليها، ويكثر من التمتع بنعيمها، فهؤلاء يُضَيِّقُ عليهم يوم القيامة، فقد أخبر الرسول ﷺ أن الذي يكثر شبعه في الدنيا، يطول جوعه يوم القيامة، ففي "سنن الترمذي" و"سنن ابن ماجه" و"مستدرك الحاكم" أن الرسول ﷺ قال لأحد أصحابه: «كُفَّ عَنَا جِشَاءُكَ، فَإِنْ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جَوْعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (السلسلة الصحيحة: ٣٤٣)، (صحيح الجامع: ٤٤٩١)

كما أخبر أن أصحاب المال الكثير والمتاع الدنيوي الواسع يكونون أقل الناس أجرًا في يوم القيامة، ما لم يكونوا قد بذلوا أموالهم في سبل الخيرات، ففي "الصحيحين" عن أبي نر رضي الله عنه قال: «إِنَّ الْمَكْثَرِينَ هُمُ الْمَقْلُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا، فَفَنَحَّ فِيهِ بِيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا». (صحيح الجامع: ١٩٥٤)

وقلة الحسنات تؤخرهم، وتجعل الآخرين يتقدمونهم، بعدما كانوا في الدنيا مقدمين، ففي "سنن ابن ماجه" عن أبي نر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«الْأَكْثَرُونَ هُمُ الْأَسْفَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَكَسَبَهُ طَيِّبٌ»

(السلسلة الصحيحة: ١٧٦٦)، (صحيح الجامع: ٢٧٨٥).

وأخبرنا الرسول ﷺ أن الذين أثقلوا أنفسهم بالنعيم الدنيوي، والغنى والثراء لا يستطيعون أن يتجاوزوا في يوم القيامة العقبات والأهوال، ففي "شعب الإيمان" بسند صحيح عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: قلت لأبي الدرداء: "ما لك لا تطلب كما يطلب فلان؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أمامكم عقبة كؤودًا لا يجوزها المثقلون».

٥- حال الذين لا يخشون الله بالغيب:

أخرج ابن ماجه من حديث ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضَاءَ، فيجعلُها الله هَبَاءً مَنْثُورًا، أما إنهم إخوانُكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قومٌ إذا خلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انتَهَكُوهَا».

(صحيح الجامع: ٥٠٢٨)

٦- حال القاتل:

- أخرج الترمذي والنسائي عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: «يجيُّ المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخبُ دمًا، فيقول: يا ربِّ! سل هذا فيم قتلني؟ حتى يدينه من العرش»

(صحيح الجامع: ٨٠٣١)

- وأخرج الطبراني في "الكبير" و"الأوسط" من حديث ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: «يأتي المقتول متعلقاً رأسه بإحدى يديه، متلبياً قاتله بيده الأخرى، تشخبُ أوداجه دمًا، حتى يأتي به العرش، فيقولُ المقتول لرب العالمين: هذا قتلني، فيقول الله للقاتل: تَعَسْتَ، ويذهب به إلى النار»

ونقل الحافظ ابن حجر ؓ في "فتح الباري" (١٢/١٩٦)، عن ابن العربي ؓ أنه قال: "ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك، فكيف بقتل الآدمي؟ فكيف بالمسلم، فكيف بالنقي الصالح؟".

- وقد توعدَّ رب العالمين في كتابه الكريم قاتل النفس بوعيد شديد، فقال تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

٧- حال المغتاب:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أنس ؓ عن النبي ﷺ قال: «لما عرج بي ربي ﷻ مررت بقوم لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»

(صحيح الجامع: ٥٢١٣)

قال الطيبي ؓ: "لما كان خمَشُ الوجه والصدر من صفات النساء النائحَات؛ جعلها جزاء مَنْ يقع في أعراض المسلمين إشعارًا بأنهما ليستا من صفات الرجال، بل هما من صفة النساء في أقبح حالة وأبشع صورة.

روي في الحديث الذي أخرجه أبو يعلى في "مسنده" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ لَحْمَ أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا قُرْبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: كُلْهُ مِيتًا كَمَا أَكَلْتَهُ حَيًّا؛ فَيَأْكُلُهُ وَيَكْلَحُ وَيَصِيحُ» (وذكره الحافظ في "الفتح": ١٠/٤٨٥، كتاب "الأدب"، باب الغيبة)

٨- حال الذين يكثرون من اللعن:

فالذي يكثر من اللعن في الدنيا؛ يحرم يوم القيامة أن يكون من الشفعاء أو الشهداء. أخرج الإمام مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٩- حال مَنْ يَغْفُلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ:

أخرج أبو داود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلَسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلَسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (صحيح الجامع: ٥٧٥٠)

١٠- حال المصوّرين:

- أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ» (صحيح الجامع: ٩٩٩)
- وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذِّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ».
- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُخْرِجُ عَنْكَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تَبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةِ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ».

١١ - حال الذي يمنع الأجير حقه:

لقد رغب النبي ﷺ في سرعة إعطاء الأجير حقه فقال ﷺ:

«أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»

(أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمرو ؓ وهو في صحيح الجامع: ١٠٥٥)

فمن خان تلك الأمانة؛ يجني الحسرة في الدنيا، بدعوة المظلوم ونزع البركة من ماله وأولاده، وأما حسرته في الآخرة، فقد أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة - وذكر منهم: ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»

(أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ؓ)

١٢ - حال الغادر ونضيحته يوم القيامة:

عن ابن عمر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر^(١) لواء^(٢)، فقيل: هذه غدره

فلان ابن فلان»

(رواه مسلم)

فالغادر ترفع له راية تسجل عليها غدرته، فيفضح بذلك يوم القيامة، وتجعل هذه الراية عند مؤخرته، ففي "صحيح مسلم" عن أبي سعيد ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة».

وكلما كانت الغدره كبيرة عظيمة؛ كلما ارتفعت الراية التي يفضح بها في يوم الموقف العظيم،

ففي "صحيح مسلم" عن أبي سعيد ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة»،

وأمرير العامة هو الحاكم أو الخليفة، وكانت غدرته كذلك لأن ضرره يتعدى إلى خلق كثير، ولأن الحاكم أو والي يملك القوة والسلطان فلا حاجة به إلى الغدر.

وقد جعل الله العقاب بهذا اللون من العقوبة على طريقة ما يعهد البشر ويفهمونه؛ وقد كانت العرب ترفع للغادر في المحافل ومواسم الحج، وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته.

(التهذبة للقرطبي: ص ٢٩٧، بتصريف واختصار)

(١) الغادر: الذي يواعد على أمر، ولا يفي به.

(٢) اللواء: الراية العظيمة، لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب، أو صاحب دعوة الجيش، ويكون الناس تبعًا له. (شرح النووي على مسلم: ٤٢/١١).

١٣ - حال المرابي يوم البعث:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]

فالذين يأكلون الربا لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له. يقول ابن عباس ؓ: "أكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنوناً يخنق"

١٤ - حال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

ونقل ابن كثير ؓ في كتابه "الكبائر" (ص ١١٨) عن السدي أنه قال:

"يُحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة، ولهيب النار يخرج من فيه - فمه - ومن مسامعه وأنفه وعينه، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم".

١٥ - حال تارك الصلاة:

عندما يكشف الله تعالى عن ساقه في أرض المحشر؛ فيسجد له كل من كان يسجد له في الدنيا، أما من كان لا يعفر وجهه لله ولا يسجد في الدنيا، فإنه لا يستطيع أن يسجد في الآخرة، وكذلك من كان يسجد رياءً وسمعة.

فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد ؓ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«يكشف ربنا عن ساقه؛ فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً».

ويقول ربنا ﷻ موضحاً هذا المشهد المهيّب: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢) ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

قال سعيد بن المسيب:

"كانوا يسمعون (حي على الصلاة... حي على الفلاح) فلا يجيبون وهم أصحاب سالمون".

فهذا حال تارك الصلاة عندما تتكشف له الحقائق يوم القيامة، يريد أن يسجد فيُحال بينه وبين السجود لله ﷻ.

- أضف إلى هذا أن تارك الصلاة سيُحشر يوم القيامة مع قارون أو فرعون أو هامان أو أبي بن خلف

فقد أخرج الإمام أحمد بسند جيد أن النبي ﷺ قال عن الصلاة:

"من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف"

قال بعض العلماء - رحمهم الله - : "وإنما يُحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته، فإن اشتغل بماله حُشر مع قارون، وإن اشتغل بملكه حُشر مع فرعون، وإن اشتغل بوزارته حُشر مع هامان، وإن اشتغل بتجارته حُشر مع أبي بن خلف تاجر الكفار بمكة" (الكبائر للإمام الذهبي)

١٦ - حال الحاكم الذي يحتجب عن رعيته:

أخرج أبو داود وابن ماجه عن ابن مريم الأزدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من ولي من أمور المسلمين شيئاً، فاحتجب دون خلّتهم وحاجتهم، وفقّرهم وفاقّتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة، دون خلّته وحاجته، وفاقته، وفقّره**» (صحيح الجامع: ٦٥٩٥)

١٧ - حال الغال وعقوبته:

والغلول: هو الأخذ من الغنيمة قبل أن تُقسّم، أو هو الأخذ من الغنيمة على وجه الخفية، وهو ذنب يخفي تحته شيئاً من الطمع والأثرة، وقد توعّد الله ﷻ الغالَ بفضحه يوم القيامة على رعوس الأشهاد، وذلك لتحميله ما غلّه في ذلك اليوم ﴿وَمَنْ يَعْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]

يقول القرطبي رحمته الله في تفسير هذه الآية: "أي يأتي به حاملاً له على ظهره وعلى رقبتة، معذباً بحمله وثقله، ومرعوباً بصوته، وموبخاً بإظهار خيانتته على رعوس الأشهاد". (تفسير القرطبي: ٢٥٦/٩)

- ومن الغلول غلول الحكام والموظفين والعمال والولاة من الأموال العامة، وقد وضّح الرسول ﷺ كيف يحمل الغالون يوم القيامة ما غلّوه في أكثر من حديث.

فقد أخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره، ثم قال: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رأسه رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت**»^(١)، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك" (المشكاة: ٤٠١/٢)

(١) الصامت: الذهب والفضة.

وأخرج الطبراني في "معجمه الكبير"، والبيهقي في "السنن" والحميدي في "مسنده":

«أن الرسول ﷺ استعمل عبادة بن الصامت على الصدقة، ثم قال له: «اتق الله يا أبا الوليد أن تأتي يوم القيامة ببغير تحمله على رقبتك، له رغاء^(١)، أو بقره لها خوار^(٢)، أو شاة لها ثَوَاج»

(السلسلة الصحيحة: ٨٥٧)

- وفي رواية عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال:

«مَنْ غَلَّ بَعِيرًا أَوْ شَاةً أَتَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(صحيح الجامع: ٦٤٠٩)

وقد ساق ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (١٤٥/٢):

"الأحاديث المرهبة من الغلول، ومنها أحاديث غلول العمال من الصدقات، وساق حديث أبي حميد عبد الرحمن الساعدي، قال: "استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزدي يقال له: ابن اللثبية^(٣) على الصدقة، فجاء، فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي".

فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فقال: «ما بال العامل نبعثه على عمل، فيقول، هذا لكم، وهذا لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحدكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بغيراً له رغاء، أو بقره لها خوار، أو شاة تيعر^(٤)، ثم رفع يديه حتى روى غُفْرَةً إبطيه^(٥)، فقال: اللهم هل بلغت ثلاثاً".

- وأخرج الإمام مسلم عن عدي بن عميرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ؛ فَكَتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ ذَلِكَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(صحيح الجامع: ٦٠٢٤)

(١) الرغاء: صوت الإبل.

(٢) الخوار: صوت البقرة.

(٣) ابن اللثبية: نسبة لبني لثب واسمه عبد الله.

(٤) تيعر: تصيح، واليعار هو صوت الشاة.

(٥) غفرة أبطية: بياضها الذي ليس بناصع.

١٨- حال غاصب الأرض:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ».
- وفي رواية عند أبي يعلى عن الحكم بن الحارث السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شَبْرًا؛ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ».
- وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].
- وأخرج الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" عن يعلى بن مرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا ظُلْمًا؛ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ تُرَابَهَا إِلَى الْمُحْشَرِّ».
- (صحيح الجامع: ٥٩٨٤)
- وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بَغِيرَ حَقِّهِ؛ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ».
- وأخرج الطبراني في "الكبير" عن يعلى بن مرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ ظَلَمَ شَبْرًا مِنَ الْأَرْضِ؛ كَلَّفَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْفَرَهُ حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَ سَبْعِ أَرْضِينَ، ثُمَّ يَطْوِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ».

١٩- حال مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ:

- أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزَّنا؛ يَقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ».
- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرٌّ مِمَّا قَالَ؛ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَذًّا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ، فَإِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَالُ مَعَ الْمَمْلُوكِ، فَكَيْفَ بِالْحُرِّ الطَّاهِرَةِ؟».
- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّهُمْ وَأَيُّدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[النور: ٢٣-٢٤].

٢٠- حال الذي لا يعدل بين أزواجه:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ؛ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا؛ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَقَهُ مَائِلٌ» (صحيح الجامع: ٦٥١٥)

٢١- حال أهل البدع والأهواء:

ففي يوم القيامة هذا اليوم العصيب؛ يقف الناس خمسين ألف سنة، حفاة عراة غرلاً، والشمس فوق رؤوسهم بمقدار ميل أو ميلين، وتتقطع الأعناق من شدة العطش، وإذا بالنبي ﷺ يسقي من حوضه أقواماً من أمته، ويتقدم نفر من هذه الأمة إلى الحوض ليشربوا، حتى إذا دنوا منه أبعدوا عنه ومنعتهم الملائكة؛ فلم يتمكنوا من الشرب، وهؤلاء هم أهل البدع والأهواء، الذين أحدثوا في دين الله ما ليس منه. فقد أخرج البخاري ومسلم، أن النبي ﷺ قال: «أَلَا إِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِكَ...».

٢٢- حال ذي الوجهين:

شرُّ الناس يوم القيامة المُتَلَوِّنُ الذي لا يثبت على حال واحدة وموقف واحد، فيأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، روى البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءَ بِوَجْهِهِ، وَهَؤُلَاءَ بِوَجْهِهِ».

ورد في بعض الأحاديث أن هذا الصنف من الناس يكون له لسان من نار يوم القيامة

فقد أخرج أبو داود واللفظ له، والبخاري في "الأدب المفرد"، والدارمي، وأبو يعلى... وغيرهم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا؛ كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ».

(السلسلة الصحيحة: ٨٩٢)، (صحيح الجامع: ٦٤٩٦)

٢٣ - حال الذي يسأل الناس وعنده ما يُغنيه:

ومن الصور البشعة: صورة أولئك الذين يعيشون عالة على خلق الله، ويسألونهم من غير ذي حاجة، فيأتون يوم القيامة وليس في وجوههم لحم.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

"ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزعة لحم"

أو يبعث وفي وجهه خموش أو كدوش، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي والدارمي... وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ، جَاءَتْ مَسْأَلَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَدُوشًا أَوْ خُمُوشًا أَوْ كَدُوحًا فِي وَجْهِهِ»^(١)**، قيل: يا رسول الله، وما يُغْنِيهِ؟ قال: خمسون درهماً، أو قيمتها من الذهب.

(السلسلة الصحيحة: ٤٩٩)

- وفي رواية قال ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ فِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ، أَوْ خُدُوشٌ، أَوْ كُدُوحٌ، قِيلَ: وَمَا الْغْنَى؟ قَالَ: خُمُوسٌ دَرَهْمًا، أَوْ قِيمَتُهَا مِنْ الذَّهَبِ»**

(صحيح الجامع: ٦٢٧٩)

- أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ شَيْئًا وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ، فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ، قَالُوا: وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: قَدْرُ مَا يَغْدِيهِ وَيَعْشِيهِ»**

(صحيح الجامع: ٦٢٨٠)

- وفي "مسند الإمام أحمد" عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَسْأَلَةُ الْغَنِيِّ شَيْنٌ فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

(صحيح الجامع: ٥٨٧١)

- أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرَ جَهَنَّمَ، فَلْيَسْتَقِلَّ مِنْهُ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»**

(صحيح الجامع: ٦٢٧٨)

(١) هذه الألفاظ متقاربة المعاني، جمع (خمش) و(خدش) و(كدح)، قال الخطابي: "الخُمُوشُ هي الخدوش، يقال: "خمشت المرأة وجهها" إذا خدشته بظفر أو حديدة... أو نحوها، والكُدُوح: الآثار من الخدوش والعض... ونحوه، والخمش أبلغ في معناه من الخدش، وهو أبلغ من الكدح، إذا خمش في الوجه، الخدش في الجلد، والكدح فوق الجلد. انتهى ملخصاً من «عون المعبود».

٢٤ - حال الذي يبصق (يتفل) تجاه القبلة:

جهة القبلة محترمة مقدسة، ولذا فقد جاءت الأحاديث ناهية عن استقبال القبلة واستدبارها حال البول والغائط.

ومما نهى عنه الرسول ﷺ البصاق تجاه القبلة، وأخبرنا أن الذي يتتخَّم تجاه القبلة يأتي يوم القيامة ونخامته في وجهه، فقد روى البزار في مسنده، وابن حبان، وابن خزيمة في "صحيحهما" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تُبَعَثُ النخامة في القبلة يوم القيامة، وهي في وجه صاحبها».

(صحيح الجامع: ٢٩١٠)

وروى أبو داود في "سننه" وابن حبان في "صحيحه" عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ تَفَلَّ تجاه القبلة؛ جاء يوم القيامة وتفلُّه بين عينيه» وإسناده صحيح. (السلسلة الصحيحة: ٢٢٢)، (صحيح الجامع: ٦١٦٠)

٢٥ - حال مَنْ يكذب في حلمه:

يعاقب الذي يكذب في حلمه يوم القيامة بأن يكلف بأن يعقد بين شعيرتين، والذي يستمع إلى قوم كارهون يعاقب بأن يصب الآنك في أذنيه يوم القيامة، والآنك: الرصاص.

روى البخاري في "صحيحه" عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ تَحَلَّمَ بحلم لم يره كُفَّ أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرّون منه، صُبَّ في أذنه الآنك يوم القيامة^(١)».

٢٦ - حال مَنْ شرب الخمر ولم يتب منه:

أخرج ابن ماجه عن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ شَرِبَ الخمر وسكر؛ لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، فإن تاب الله عليه، وإن عاد فشرب فسكر؛ لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار وإن تاب الله عليه، وإن عاد فشرب فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، وإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من ردة الخبال يوم القيامة: عَصَاة أَهْلِ النَّارِ»

(صحيح: الجامع: ٦٣١٣)

(١) الآنك: الرصاص المذاب.

٢٧- حال مَنْ لبس ثوب شهرة:

أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ لبس ثوب شهرة؛ ألبسه الله يوم القيامة ثوبًا مثله، ثم يُلْهب فيه النار»

(صحيح الجامع: ٦٥٢٦)

٢٨- حال مَنْ منع فضل الماء:

أخرج الإمام أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ منع فضل ماء، أو كلاً؛ منعه الله فضله يوم القيامة»

(صحيح الجامع: ٦٥٦٠)

٢٩- حال الشحيح يوم القيامة:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن معاوية بن حيدة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يسأل الرجل مولاه من فضلٍ هو عنده فيمنعه إياه؛ إلا ادّعي له يوم القيامة فضله

الذي منعه شجاعاً أقرع».

(صحيح الجامع: ٧٧٠٩)

٣٠- حال النائحة يوم القيامة:

أخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت، فإنها تبعث يوم القيامة عليها سراويل من قطران، ثم

يُغلى عليها بدروع من لُهب النار».

(صحيح الجامع: ٦٨٠٩)

أخرج الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«النائحة إذا لم تتب قبل موتها؛ تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من

جَرَب».

(صحيح الجامع: ٦٧٩٢)

• دنو الشمس يوم القيامة من الخلق من أرض المحشر:

ومما سبق يتضح أن عقوبة العصاة تختلف من إنسان إلى إنسان، كلّ بحسب ذنبه، إلا أن هناك أمرًا يعمهم ويشتركون فيه جميعًا، ألا وهو دنو الشمس فوق رؤوسهم بقدر ميل أو ميلين، ويذهب عرقهم في الأرض، ثم يرتفع فوق الأرض، ويأخذ كل إنسان بحسب عمله، وهذا ما يوضحه النبي ﷺ.

ففي "الصحيحين" من حديث المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل^(١) أو ميلين؛ فتصهرهم الشمس، فيكونوا في العرق كقدر أعمالهم، ومنهم من يأخذه إلى عقبه، ومنهم يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه^(٢)، ومنهم من يلجمه إلجاماً^(٣)».

وفي "الصحيحين" أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم».

وفي "الصحيحين" أن النبي ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، قال: يقوم أحدهم في رشحه إلى إنصاف أذنيه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]."

(١) قدر ميل: قال سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ - أحد رواة الحديث - فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين.

(٢) الحقو: مشد الإزار عند الخصر.

(٣) يلجمه العرق: المراد يبلغ العرق فمه.

• مجيء جنهم:

ففي هذا اليوم العصيب، وقد أدنيت الشمس فوق الرؤوس، وقد انصهر الناس بحرّها، واشتد كربهم من وهجها، وقد تزاومت الأمم وتدافعت؛ فاختلفت الأقدام، وانقطعت الأعناق من العطش، واجتمع حرّ الشمس ووهج أنفاس الخلائق، وقد تزاومت أجسامهم، ففاض العرق، وضاق النّفس، واشتد الكرب، وأطبق الغمّ، وفي هذه اللحظة يؤتى بجهنم ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، إنه مشهد رهيب يشيب من هوله الولدان.

ففي "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

وتأتي جهنم ولها صوت رهيب، قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾

[الفرقان: ١٢]

فيقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾: أي جهنم، ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني في

مقام الحشر، قال السدي رحمه الله: "من مسيرة مائة عام"، ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾: أي حنقًا عليهم،

كما قال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيْهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [المّلك: ٧-٨].

أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله، وعن عبيد بن عمير قال في الآية السابقة ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾، قال: "إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل

إلا خرّ لوجهه، ترتعد فرائصه، حتى إن إبراهيم عليه السلام ليحشو على ركبتيه ويقول:

"رب لا أسألك اليوم إلا نفسي". اهـ بتصرف واختصار.

وقد صوّر لنا القرآن الحسرة التي تتركب الكفار وأهل التفريط والتقصير عند مجيء النار

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ﴿٢١﴾ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ

يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢١-٢٤]

• شفاعة النبي ﷺ لأهل المحشر حتى يقضي الله بينهم:

ففي هذا اليوم العصيب والزحام الشديد، يقف الناس خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب، ولا جلوس، حفاة عُرَاة غُرْلًا، وقد دنت الشمس فوق الرؤوس، وبلغ العرق الآذان والأفواه، وأحاطت جهنم بالخلق وهي تقور، وقد زفرت زفرةً غضباً منها لغضب الله تعالى، والخلائق في رُعبٍ رهيب، وهمّ شديد، وقد بلغ منهم الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فقد طال بهم الموقف واشتد الحر، وتأخر الحساب، وهنا يبحثون عن من يشفع لهم عند الله حتى يُقضى بينهم، فيذهبوا إلى آدم ثم إلى نوح ثم إلى إبراهيم ثم إلى موسى ثم إلى عيسى، كل نبي يحيلهم إلى الآخر؛ حتى يؤول الأمر وينتهي إلى الحبيب النبي ﷺ فيقول: أنا لها، أنا لها، وهذا هو المقام المحمود الذي يغطه عليه الأنبياء والمرسلون.

ففي "الصحيحين" و"مسند الإمام أحمد" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"أتى رسول الله ﷺ بلحم، فدفع إليه منها الذراع، وكانت تعجبه، فنهس^(١) منها نهسة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد^(٢) (واحد)، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي (نفسى نفسي)، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي^(٣)، نفسي، نفسي (نفسى نفسي)، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليفه من أهل الأرض، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

(١) نهس: أي أخذ اللحم بمقدم الأسنان.

(٢) الصعيد: هو الأرض الواسعة المستوية.

(٣) عندما قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِيْ اَلْاَرْضَ مِنْ الْكَافِرِيْنَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته^(١)، نفسي نفسي (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي (نفسى نفسى)، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته^(٢) ألقاها إلى مريم وروح منه، قال: هكذا هو، وكلّمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده (مثله، ولم يذكر له ذنباً)، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدّم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم؛ فأتي تحت العرش، فاقع ساجداً لربي ﷻ، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه، شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تُشفع، فأقول: «يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم، فيقول ﷻ: "قد شفّعك، أنا آتيكم لأقضي بينهم».

وهذه الشفاعة لجميع الخلائق هي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى للنبي ﷺ، قال تعالى:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

فهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرين، والأنبياء والمرسلون، حيث يشفع النبي ﷺ للخلائق جميعاً؛ حتى يقضي الله بينهم

وقبل الحديث عن القضاء بين العباد ومناقشة الحساب، لنا وقفة مع الشفاعة وأنواعها.

(١) وفي رواية: "إني كنت كذبت ثلاث كذبات"، قوله: ﴿إِنِّي سَمِعْتُ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿قَالَ لَوْلَا كَرِهُمُ مَدَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله لامراته:

"أخبريه أنني أخوك". قال النبي ﷺ: "ما منها كذبة إلا ما حل بها" أي جادل بها عن دين الله" (انظر فتح الباري: ١١/٦٤٣).

(٢) فعيسى ﷺ ليس هو كلمة الله؛ إنما جاء عيسى بكلمة الله وهي: "كُنْ" وليس هو "كُنْ"؛ لأننا لو قلنا إن عيسى هو: كن، أي أنه هو كلمة الله، لكان كلام الله تعالى مخلوقاً، وهذا ليس من عقيدة أهل السنة.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة
نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها
مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني
ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب،
فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي
وإن وجدت العيب فسد الخلا
فألهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك